مقياس: المصطلح النقدي **المصطلح في النقد العربي**

ـ توطئة:

بوسع كل مهتم بالنقد العربي أن يلاحظ بيسر أن ثمة إشكالية مصطلحية متعددة الجوانب. فإذا كان النقد العربي القديم قد حسم أمره في زمانه بأن وضع مصطلحاته الخاصة على وفق المفاهيم، والنظريات، والمقاييس النقدية التي كانت سائدة آنذاك؛ فإن النقد العربي الجديد ـ بحكم التطور النقدي وغياب البديل الذاتي ـ محكوم عليه بالتعامل مع المصطلحات النقدية الأجنبية المتلاحقة ليواكب حركة النقد العالمي وتحولاتها السريعة.

وهذا التعامل مع المصطلحات الوافدة تواجهه جملة من المشكلات والتحديات، منها ما يتعلق بالترجمة ومعضلاتها، ومنها ما له صلة بصعوبة الموازنة بين المصطلح التراثي والمصطلح الحداثي في بعض المسائل المشتركة. ومنها ما يعزى إلى ارتباط بعض المصطلحات الأجنبية بمفاهيم لها سياقاتها الثقافية والحضارية والتاريخية الخاصة.

وفيما يأتي إشارات مجملة سريعة إلى بعض جوانب هذه الإشكالية المصطلحية.

ـ لا يزال بعض النقادة العرب المحدثين مشدودين إلى التراث من خلال تمسكهم ببعض المصطلحات النقدية التراثية كالطبع، والصنعة، والتكلف وغيرها، كما لا تزال بعض المصطلحات متأرجحة بين التوجهات القديمة، والتوجهات الحديثة كالانحراف، والتكرار، والالتفات.

ـ لم يبلغ المصطلح في النقد العربي الجديد بعد مرحلة التجريد والاستقرار كما هو الحال في النقد الغربي، بل لا يزال يتراوح بين التجريب والاضطراب.

ـ يصعب تصنيف الكثير من المصطلحات ضمن حقول منهجية معينة بسبب تداخل النظريات والمناهج حتى في أصولها الأولى، بالإضافة إلى عدم قدرة أغلب النقاد العرب

على الالتزام بمنهج واحد في دراساتهم التطبيقية، ودعوتهم إلى تعدد المناهج من خلال التوفيق حينا، والتلفيق أحيانا أخرى.

ـ لقد تعددت الترجمات العربية للمفهوم الأجنبي الواحد تعددا رهيبا؛ فقد ترجم ـ مثلا ـ مصطلح الانزياح (Ecart) بما يزيد عن الأربعين مصطلحا مثل الانحراف، والعدول، والانتهاك، والخرق، والتوتير، والتدمير، والبعد، واللحن...إلخ. وكذلك مصطلحات اللسانيات، والسيميائية، والبنوية وغيرها.

ـ بالرغم من المظهر السلبي الواضح في تعدد البدائل الترجمية للمصطلح الأجنبي الواحد، إلا أنه يعكس من جانب آخر وجها إيجابيا يتمثل في عبقرية اللغة العربية من حيث سعة طاقاتها الاشتقاقية، وثراء مخزونها المعجمي.

ـ تشير تلك (الفوضى المصطلحية) في الساحة النقدية العربية إلى غياب روح التنسيق، والانسجام في إطار عمل الفريق الواحد، وغلبة النزعة الفردية في جهود الترجمة.

ـ آراء بعض النقاد العرب حول إشكالية المصطلح في النقد العربي الجديد:

ـ د/ يوسف وغليسي: " لعلّ مما ريب فيه أن واقعنا النقدي العربي واقع متأزم، لا يزال خطابه يتخبط في عشواء المناهج الجديدة، ويكابد وعثاء المصطلحات البراقة، وكثيرا ما تعالت الصيحات، وهبت المعالجات لتشخيص ذلك الفيروس الاصطلاحي الذي طالما حمّل جريرة هذا الطاعون".

ـ د/ رشيد بن مالك: " إن فحصا دقيقا للمصطلحية المسخّرة في الدراسات النقدية يكشف إلى أي حد هي عميقة حالة الفوضى والتذبذب" لأن هذا " الاضطراب المصطلحي الذي يعدّ السمة الغالبة في البحوث النقدية صادر عن التسرّع في تبني هذا التيار أو ذاك، وعن غياب رغبة حقيقية في تمثل وفهم جوهر السؤال".

ـ د/ عبد الملك مرتاض: "... إذ أضحى من الحتمي نقل العدد الجمّ من هذه المفاهيم السيميائية واللسانية المعقدة غالبا... إلى العربية التي ترى كل واحد من باحثيها يشتغل وحده مشرقا ومغربا، فتكثر الجهود ولكنها تهدر، وتبذل الطاقات ولكنها تجهض، وتقلّ أثناء ذلك الفائدة".

ـ د/ وهب رومية: " الاضطراب في استخدام المصطلح النقدي آفة فاشية يعاني منها النقد العربي المعاصر معاناة قاسية".

ـ د/ عبد العزيز حمودة: " إننا نرتكب إثما لا يغتفر حينما ننقل المصطلح النقدي الغربي، وهو مصطلح فلسفي بالدرجة الأولى، بكل عوالقه المعرفية إلى ثقافة مختلفة هي الثقافة العربية دون إدراك للاختلاف".(تنظر هذه الأقوال في كتاب " إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد" للدكتور يوسف وغليسي، ص53،54، 55) .